

Artical History

Received/ Geliş
15.06.2019

Accepted/ Kabul
19.07.2019

Available Online/yayınlanma
01.08.2019.

**Yukichi Fukuzawa and modernization of education in the Meiji
era 1868-1912**

فوكوزاوا يوكيتشي وتحديث التعليم في عهد مييجي 1868-1912

**م. د. ياسين خضير حسن المسعودي
وزارة التربية العراقية**

الملخص

يعد التعليم الركيزة الأساسية التي يقوم عليها تقدم الأمم، وقد أدرك رواد حركة الإصلاح في عهد مييجي 1912-1968م في اليابان أهمية التعليم في بناء صرح الحضارة اليابانية، وقد تجسد ذلك في المادة الخامسة من اعلان مبادئ الإصلاح الامبراطوري الخمس (ميثاق القسم) والتي جاء فيها " السعي لاكتساب الثقافة والتعليم الحديث من أي مكان في العالم و استخدامها في بناء ركائز الامبراطورية اليابانية).

وحمل فوكوزاوا يوكيتشي أحد أشهر رواد النهضة اليابانية في عهد مييجي ، رؤية اقتفاء الغرب في مجال التربية والتعليم، وقد بنى فلسفته من خلال عمق رؤيته التاريخية، ومعرفته للمجتمع الياباني الذي نشأ فيه، وتفهمه لطبيعة الحضارة التي لمسها في المجتمع الغربي، إذ وجد أن مصدر قوتها هو نجاحها في تطوير نظم التربية والتعليم، وبمقدار تأثيره بالأنموذج الغربي في التعليم، نجد أنه ركز على جانب خصوصية المجتمع الياباني، فعمل على المزاوجة بين الموروث الياباني التقليدي وبين المكتسب من الحضارة الغربية في التعليم، ويمثل هذا الموضوع جانبا مهما من جوانب التعمق في دراسة تجربة التحديث في اليابان، تلك التجربة التي جعلت اليابان تحتل

مكانة متميزة عالمياً، ومن خلال هذا البحث سأناقش نشأة فوكوزاوا وتكوينه الثقافي ومن ثم دوره في عملية تحديث النظام التربوي في اليابان ورؤيته لمعالجة بعض جوانب الحياة اليابانية.

الكلمات المفتاحية: فوكوزاوا يوكيتشي وتحديث التعليم ، تطور التعليم في اليابان ، فوكوزاوا يوكيتشي ، التعليم في عهد مييجي .

Abstract

Education is the cornerstone of nations assistance; during the Meiji period (1868-1912),The pioneers of reform movement have recognized the importance of education in building of strong modern state in Japan. Fukuzawa was the most famous prominent education of Japanese renaissance in the field of education during Meiji period, who propelled in this direction. He built his the educational philosophy through the depth of his Knowledge of the nature of Japanese society in which he grew up and his understanding of the nature of modernity that he touched in European society and he found that the source of its strength is its success in the development of education systems. As much as his impact of western educational model. We find that he focused on the aspect of preserving the privacy of Japanese society, thus he Was working on the combination between Japanese heritage and the acquired from modern European.

نشأة فوكوزاوا وتكوينه الثقافي

ولد فوكوزاوا في اوساكا لأب من صغار الساموراي في يناير من العام 1835م ، وكان والده يعمل مسؤولاً عن الشؤون المالية ومسؤول تسويق محصول الرز للقبيلة الاقطاعية التي ينتمي اليها (قبيلة اوكودايرا) التي تقطن منطقة ناكاتسو بكيوشو، ويتولى المفاوضات مع تجار اوساكا من اجل القروض التي يحتاج اليها سيده الاقطاعي⁽¹⁾.

¹ - عباس ، رؤوف، التنوير بين مصر واليابان ، دراسة مقارنة في فكر رفاعه رافع الطهطاوي وفوكوزاوا يوكيتشي (القاهرة، دار ميريت ، 2001)، ص.11.

مرت عائلته بضائقة مالية شديدة بعد رحيل والده الذي توفي بعد سنتين من ولادته ، الامر الذي أضطره للعمل وهو صغير السن ، وكانت والدته تأمل في ان يصبح ابنها من كهنة البوذية حتى يتخلص من الطبقة الاجتماعية التي تعيش فيها عائلته والتي اورثها لهم الاب وهي طبقة صغار الساموراي، لكنه لم يكن مهتما بمسألة سلوك طريق الكهنة البوذية⁽¹⁾.

تعلم مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة صغيرة بمنطقته، لكنه كان يتطلع الى الخروج من سطوة النظام الاقطاعي الذي يعيش فيه وذلك بخروجه من مدينة ناكاتسو ، كان يكره النظام الاقطاعي كرها شديدا ويتمنى التخلص منه، اذ يعده سببا في وفاة والده، وقد جاءت الفرصة المناسبة له في العام 1854 بقدم بعثة الكومودر ماثيو بيرى(1853-1854م)، والتي اثار قدومها حفيظة الحكام المقاطعات وجعلهم يفكرون بجدية في تعلم القتال بالأسلحة النارية، الامر الذي دفعهم للتوجه الى ناكاساكي حيث الجالية الهولندية في ديشيما⁽²⁾ للاطلاع على مستجدات الحداثة لديهم، وارسل ابن السيد الاقطاعي في ناكاتسو الى هناك ورافقه فوكوزاوا خادما له ، فكانت تلك فرصته الذهبية للخروج من مدينته ناكاتسو اذ بدأ هناك بتعلم اللغة الهولندية . لكنه كان مصرا على الحرب من محيطة الذي يعيش فيه فتحجج لسيدة بأن يروم زيارة والدته في ناكاتسو ، لكنه اتجه الى اوساكا التي يعيش فيها اخيه الأكبر ، وهناك درس العلوم الطبية والفيزياء والكيمياء واللغة الهولندية في مدرسة خاصة يديرها أحد الأطباء المتخصصين باللغة الهولندية، وكانت دراسة اللغة الهولندية تواجه بعض الصعوبات المتمثلة بقلّة مصادر دراستها ، وبمعارضة اليابانيين لها من الذي يحملون ثقافة صينية تقليدية كونهم يعدونها خروج على التقليد، لكنه ادرك ان اللغة الهولندية غير كافية من اجل التواصل للحصول على التقنية الحديثة، اذ كان قد سافر الى ايدو واختلط بالأجانب الساكنين هناك من الإنكليز ووجد ان انهم لا يفهمون اللغة الهولندية وانه عاجز عن التفاهم معهم من خلالها ، وحينها ادرك ان اكتساب العلوم الحديثة

¹ - المرجع نفسه ، ص 23.

² - ديشيما: هي جزيرة اصطناعية أقيمت عند ميناء ناكا زاكي، تبلغ مساحتها 130 هكتاراً، أقيمت ما بين عامي 1614 و 1636. وسمح للبرتغاليين أولاً ثم للهولنديين الاستقرار فيها خلال السنوات 1634-1856، وهي تمثل المنفذ الوحيد للتبادل التجاري والثقافي في اليابان مع العالم الخارجي خلال عهد توكوكاوا. Kodansha, Encyclopedia of Japan, Vols.1-8, Tokyo , 1983, Vol.2, P.83.

يتطلب الامام باللغة الإنكليزية، وان تعلمها يعني الامام بشؤون الغرب بشكل عام لأنها اللغة الأكثر انتشاراً، ولذلك انكفاً لتعلم اللغة الإنكليزية بمجهوداته الشخصية⁽¹⁾.

انضمامه الى البعثة اليابانية الأولى الى أمريكا 1860

اتخذت حكومة الشوغن قرار يقضي بإرسال سفينة حربية الى الولايات المتحدة الأمريكية للتصديق على معاهدة 1858م مع الجانب الأمريكي، فانطلقت في أواخر عام 1859م وقد رافق فوكوزاوا البعثة من خلال عمله في خدمة قبطان السفينة اليابانية⁽²⁾، ووصل الى سان فرانسيسكو في 1860 وامضى هناك أربعة أشهر، أطلع خلالها فوكوزاوا على الحياة الغربية بشكل مباشر فرأى مالم يجده في الكتب من طريقة الحياة اليومية والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الأمريكي⁽³⁾.

عندما عاد فوكوزاوا الى اليابان وهو يحمل معه اول قاموس إنكليزي يدخل لليابان كانت الأوضاع السياسية في الداخل الياباني تتجه نحو التصعيد مع انتشار موجة العداة للغرب ومحاربة أي فكر حداثة يميل لتبني الأفكار الغربية، أذ كان الشعار السائد "اطردوا الأجانب"، ويذكر انه خلال اقامته في سان فرانسيسكو بذل جهداً خاصاً لتحسين معرفته باللغة الإنكليزية من خلال اتصاله بالأجانب "سمعت لغتهم وبذلت جهداً خاصاً لتحسين معرفتي بالإنكليزية، وبعد عودتي حاولت قراءة الإنكليزية بقدر ما استطعت حتى افيد طلابي"⁽⁴⁾، وكان قد علم طلابه اللغة الإنكليزية بدلا من الهولندية، ويذكر انه كان دائم المراجعة لقاموسه الإنكليزي الهولندي فكان طالبا ومدرسا بذات الوقت، وكان قد نشر آنذاك كتابه الأول، وهو قاموس ياباني-إنكليزي لتبدأ بعد ذلك سلسلة مؤلفاته اللاحقة، ومع استمراره بالتدريس في مدرسته ـ فأن الحكومة اليابانية كلفته بمهمة ترجمة الرسائل الواردة من البعثات الأجنبية، وكان سعيداً جداً بهذه الوظيفة لأنها نقلته اجتماعياً

¹ - fukuzawa, Yukichi, The Autobiography of fukuzawa yukichi ,trans .Eiichi Kiyooka ,columbia University press 1968, pp97-98.

² - فوكوزاوا ، يوكيتشي ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي وسيرة الذاتية ومقدمة اعماله الكاملة ، ترجمة كامل يوسف حسين، ط1 (ابوظبي، المجمع الثقافي: 2001م) ، ص161.

³ - fukuzawa, Yukichi, The Autobiography, p114

⁴ - فوكوزاوا ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي ، ص158.

الى مرتبة اعلى ولكونها اتاحت له صقل امكانياته في اللغة الإنكليزية وعبر عن ذلك بقوله " ان اتصالي بالحكومة المركزية جلب معه ميزة طيبة لدراساتي"⁽¹⁾ لأنه مارس عمل الترجمة من والى الإنكليزية بشكل جيد.

انضمامه الى بعثة اوربا عام 1862.

عزمت اليابان ان ترسل بعثة ثانية الى الولايات المتحدة الامريكية في العام 1862م لكن انطلاق الحرب الاهلية الامريكية (1861-1865)⁽²⁾ حال دون ذلك فتحوّلت البعثة الى أوروبا وكان الهدف منها هو التعرف الى الحضارة الغربية، أذ قدم أعضاء البعثة ملاحظاتهم في تقارير شملت مشاهداتهم عن المصانع والاماكن التي قاموا بزيارتها في مختلف البلدان الاوروبية وقد انصب ملاحظاتهم بشكل دقيق عن نظام العمل في مصانع الأسلحة في بريطانيا⁽³⁾ وقد اهتمت البعثة ايضا بمراجعة المعاهدات غير المتكافئة التي عقدتها اليابان مع الدول الغربية مثل فرنسا وهولندا والبرتغال وانكلترا وروسيا وبروسيا، وحاول الوفد من خلال المفاوضات تأجيل فتح الموانئ اليابانية وتعديل نسب الجمارك ، الا ان هذه المفاوضات باءت بالفشل ،ويبدو ان الإدارة اليابانية كانت قد ادركت مدى الهوة الواسعة بين التقدم العلمي في الغرب وبين تخلف اليابان وان اكتساب العلوم هو الحل الوحيد لتدارك الامر ، ولذلك نجد ان أبناء حكام الاقطاعات من الساموراي شكلوا عصب البعثة اليابانية الى الغرب الأوربي⁽⁴⁾، وكان فوكوزاوا قد شارك في هذه الرحلة بشكل رسمي بوصفه مترجما للرحلة، وكانت هذه الرحلة مهمة لفوكوزاوا لحصوله على مخصصات مالية جيدة مكنته من شراء ما يحتاج اليه من كتب باللغة الإنكليزية من لندن وكانت تلك بداية لاستيراد الكتب الإنكليزية الى اليابان، فضلا عن ان الرحلة

1 - فوكوزاوا ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي ، ص 159.

2 - الحرب الاهلية الامريكية: اندلعت بين عامي 1861-1865 بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية في أمريكا ولأسباب متعددة كان من أهمها ، التباين الفكري حول ضرورة الغاء العبودية وانهاء الاسترقاق في الولايات الجنوبية، والتفاوت بينهما في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، وكانت الغاية من الحرب هو المحافظة على وحده الولايات المتحدة وإعادة الولايات الجنوبية التي انفصلت الى الاتحاد، انتهت الحرب في عام 1865 بأستسلام قائد الجيش الجنوبي. للمزيد انظر: الخناوي، كمال الدين، الاستراتيجية في الحرب الاهلية الامريكية، ط1(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1950)، ص 13 وما بعدها.

3 - ميتشو ، ناغاي وميغال أورتوشيا ،نحضة اليابان: دراسات وابحاث في التجربة الإنمائية اليابانية، ترجمة ، نديم عبدة وفواز خوري،(بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1993م)، ص 229.

4 - بو لحية ، محيي ، البعثات التعليمية من اربعينيات القرن التاسع عشر حتى اربعينيات القرن العشرين -تباين المقدمات واختلاف النتائج، ط1(بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: 2016)، ص 549.

اتاحت له ممارسة استخدام اللغة الإنكليزية كتابة وقراءة بشكل أوسع، ووفرت له سبيل الاطلاع على الحياة الاوربية بشكل مباشر" لم اكثر بموضوعات علمية أو تقنية خلال الرحلة، لأن بمقدوري دراستها كذلك من الكتب بعد عودتي الى الوطن، ولكنني أحسست بأنه يتعين عليّ معرفة أكثر الأمور المتعلقة بالحياة اليومية للناس ، لان الاوربيين لن يصفوها في الكتب باعتبارها بالغة الوضوح⁽¹⁾. لذلك نجده يلتقي بأشخاص ويسألهم عن أمور مهمة بالنسبة له وكان يدون في اجوبتهم في كراس ، مثلا يسأل عن كيفيك إدارة المستشفى وتمويله وكيفية إيداع النقود في المصارف وكيفية استرجاعها ، وعندما عاد فوكوزاوا الى اليابان عرض أفكاره على ضوء تلك الأسئلة واجوبتها مع معلومات الكتب التي جلبها من اوروبا فتوفرت له معلومات كتابه (أشياء غريبه)⁽²⁾، والذي حظي باهتمام واسع من القراء.

كان لهذه البعثة دور كبير في اطلاع أعضائها بمن فيهم فوكوزاوا على مقدار التطور العلمي والتقني والثقافي الذي تشهده أوروبا الغربية الرأسمالية ، وأدركوا مدى تأخر اليابان، وقد كان للبعثة اليابانية الى أمريكا في عام 1860 والى اوروبا عام 1862، دور في بلورة فكرة التحديث الياباني، اذ بدا اهتمام الحكومة اليابانية واضحا بالبعثات ، ففي العام 1862 أرسلت بعثته الى هولندا لدراسة العلوم السياسية الغربية والقوانين الدستورية والعلوم الاقتصادية ضمت اكثر من 15 طالب من مختلف الاختصاصات رافقهم فيها عالم فيزيائي هولندي، الامر الذي يدل على استمرار الدور الهولندي في اليابان الذي يعود الى بداية حقبة العزلة الطوعية لليابان⁽³⁾، وخلال حقبة ما قبل الميجي كانت عجلة التحديث تسير ببطء شديد لكون البعثات اليابانية الدبلوماسية والتعليمية الى أمريكا وأوروبا كانت محددة بأهداف ثابتة ومراقبة شديدة وصفها فوكوزاوا بقوله " في كل مرة كنا نرغب في الخروج كان احد الأوميتسوكي يمضي في فضول معنا ، وماكنا بالخارجين للتهريج، وما

¹ - فوكوزاوا ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي، ص 170 .

² - المرجع نفسه ، صص 170-171 .

³ - العزلة الطوعية: ساكوكو وتعني أغلاق البلد وهي سياسة العزلة الطوعية التي اتبعتها اليابان بين عامي 1641-1853م فبدأت بمرسوم أصدره توكوغاوا أياسو بمحضر المسيحية وطرد المبشرين وانتهت بوصول الكومودور ماثيو بيري الى سواحل اليابان وعقدته سلسلة اتفاقيات مع حكومة توكوجاوا، وقد أسهمت العزلة في نمو الوعي القومي، فطرد الاوربيين وتحريم المسيحية، ونمت حركة كراهية شديدة للأجانب في اليابان بشكل كبير ، وقد اقتصر العلاقات الاقتصادية اليابانية على الصين وكوريا والبرتغال فقط ، للمزيد أنظر: اعفيف، مُجد ، أصول التحديث في اليابان 1568-1868م، ط1(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية: 2010)، صص 295-329؛ ريشاور، ادرين اولدفاذر، تاريخ اليابان من البداية الى هيروشيما، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1(دمشق، دار علاء الدين: 2000)، ص 81.

كان ان يحتمل ان نكشف سرّاً قومياً⁽¹⁾ الامر الذي يدل على رقابة شديدة لأعضاء الوفد امتثالا لقوانين العزلة وكان فوكوزاوا ممتعضا كثيرا من هذا الاجراء.

حالة التعليم في عهد توكاكاوا (1853-1868م)

نادى الامبراطور الياباني بإياسو توكوكاوا شوجن⁽²⁾ على البلاد في العام 1603 لبدأ عهد جديد في التاريخ الياباني يدعى عهد توكوكاوا⁽³⁾ ، وخلال هذه الحقبة اتجه إياسو الى تأسيس نظام اجتماعي واقتصادي يتكون من عدة طبقات من المحاربين الساموراي والنبلاء ورجال الدين والفلاحين والتجار ، ومن أجل ضمان استقرار المجتمع شجع التعليم المستند على المبادئ الكونفوشوسية⁽⁴⁾ ، وذلك لان المبادئ الكونفوشوسية تشجع على العلم والمعرفة والعقل وتشجيع الآداب والأخلاق وهي لا تدفع باتجاه الأفكار الثورية او اثار العصيان والتمرد، انشأ عدد من المدارس كان التوجه العام في منهاج التدريس فيها هو البناء الأخلاقي للساموراي وكان تأثير الثقافة الصينية والمبادئ الكونفوشوسية طاغيا عليها ، فكان إياسو يعدّ رجال الساموراي للحرب وللعلم أيضا أذ ذكر في احد المراسيم التي أصدرها ان " تعلم فنون السلام يعدّ مساويا لتعلم فنون القتال"⁽⁵⁾. ويبدو ان إياسو قد وجد ضالته في الكونفوشوسية فشجع على طبع كتبها ونشر مصادرها.

كانت الأحوال المادية للمعلمين بسيطة في هذا العهد، أذ كان المعلمون يعتمدون في معيشتهم بشكل أساسي على الاعمال التي يزاولونها وكان بعضهم من الساموراي ، ومثلت مهنة التعليم عمل إضافي للمعلمين وليس أساسياً في معيشتهم ، وكان كل مردود المعلم من مهنته هو ما يقدمه أولياء الأمور من هدايا ، وكان

1 - فوكوزاوا ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي، صص 167-168؛ بو لحية، البعثات التعليمية، صص 555-556.
2 - الشوجن: القائد الأعلى للجيش اطلقه الامبراطور الياباني اول مرة في العام 1192 على قائد جيوشه آنذاك، إلا أن لقب الشوجن استخدم على نطاق واسع في حقبة توكوكاوا وقد سلمة الامبراطور كافة صلاحياته .. Kodansh ,Vol.2,P.129.
3 - ويطلق عليه حقه ايدو ايضا ، وهو حكم اسرة اسسها إياسو واستمرت في الحكم الوراثي من(1603-1868) حكم خلاله خمسة عشر شوجنا كان لهم الحكم الفعلي اما سلطة الامبراطور فكانت اسمية فقط، انتهى العهد بقيام عهد الميجي عام 1868م، Masao , Maruyama , Studies In The Intellectual History Of Tokugawa Japan, Trans by Mikso Hane,Tokyo Univ Press ,2001,P.5
4 الكونفوشوسية: نسبة إلى كونفوشوس حكيم الصين الذي ولد بمدينة تشو- فو عام 551 قبل الميلاد، ولما بلغ الرابعة والعشرين من العمر أشتغل في التعليم واتخذ من بيته مدرسة لتلاميذه وكانت مواد التدريس عنده هي " التاريخ والشعر وآداب اللياقة " من أقواله " إن أخلاق المرء تخلقها القصائد وتنميه المراسم أي المقالات وتعطرها الموسيقى ، أنظر ميزوتاني، أمين ماكوتو، الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)، ص49
5 - Sansom,George,A History of World and Japan,(New York,1950),pp,74-75.

بعض زعماء القرى يخصصون للمعلمين مقدارا سنويا من الأرز لقاء الجهود التي يبذلونها في تعليم ابناؤهم، أذ كان الأهالي يؤسسون تلك المدارس ويشرفون عليها وكان المعلمون متباينين في تخصصاتهم وفي مقدار مستواهم المعرفي، وقد حرص بعض التجار على تعليم بناتهم لغرض مساعدتهم في أعمالهم التجارية ولاسيما إدارة الحسابات لهم، وكان البعض يتلقين دروسا تختص بالنساء وكان ذلك لغرض تحضيرهن كزوجات وامهات صالحات⁽¹⁾ بسبب تأثير الثقافة الكونفوشوسية.

شهد التعليم تطورا عندما وصل الشوجن يوشيموني 1716-1745م الى الحكم في عام 1720م وذلك من خلال الإصلاحات التي قام بها والتي تركزت على تشجيع التعليم والتخفيف من القيود المفروضة على الدراسات الهولندية بسبب تأثيرات العزلة الطوعية، وقد تمثل ذلك من خلال السماح بتدريس اللغة الهولندية ودخول الكتب الهولندية، وقد أصدر مرسوماً بذلك عام 1702، وتم على اثره تأسيس ما يدعى بالتعليم الهولندي وباليابانية رانگاکو Rangaku⁽²⁾

كان تأثير مرحلة العزلة الطوعية واضحا على الشخصية اليابانية ، اذ عمل على صقلها بعيدا عن المؤثرات الأجنبية ، فترسخت في الفرد الياباني القيم والتقاليد والأخلاق بعيدا عن المؤثرات الأجنبية، ذلك ان الأفكار والعلوم الغربية والمعارف التي دخلت لليابان عن طريق الهولنديين تمت موائمتها للتناسب مع القيم اليابانية⁽³⁾.

لقد اثرت الثقافة الكونفوشوسية والتي تؤكد على طاعة المرأة للرجل واعتمادها عليه ، والتزام النساء بواجباتهن المنزلية والاسرية على مستوى تعليم المرأة اليابانية الذي انحصر في تعليم اللغة اليابانية قراءة وكتابه وآداب السلوك والخياطة ، حتى ان مدارس خاصة أنشئت لتعليم فن الخياطة والحياكة والغزل، اما بنات

¹ - بيريز ، لويس ، اليابان في القرن الثامن عشر، ترجمة ، عابد إسماعيل، ط1(أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة) مشروع كلمة، 2011، صص233-234.

² - عبود، مثنى عبد الجبار، التعليم في اليابان(1868-1912)، أطروحة دكتوراه غير منشوره مقدمة الى كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد، 2016م، صص60-61؛

Jansen , Marius B., The Making of Modern Japan, London, Harvard Univ.Press,2000, PP. 746-747.

³ - عبود، المصدر السابق ، ص64.

وزوجات التجار فقد اهتم بتعلمين القراءة والكتابة والحساب أهمية كبريه في مسك حسابات ذويهن الاقطاعيين والملاك والتجار⁽¹⁾

امتازت هذه الحقبة بطغيان الثقافة والفكر الصيني على غيره واتساع الأفكار الكونفوشوسية التي ركزت على الجانب الأخلاقي وتهذيب السلوك بشكل كبير، وحصلت المرأة اليابانية على مستوى من التعليم وبحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، لكن ذلك لم يكن توجهها حكوميا وانما توجهها شعبيا، وقد شهدت المرحلة دخول بعض الكتب الأجنبية (الهولندية) في مجالات العلوم الصرفة لاسيما علوم الطب، الأمر الذي يعني عدم دخول ما يعارض الثقافة الصينية⁽²⁾.

كان لهزيمة الصين في حرب الأفيون⁽³⁾ 1839-1842م، تأثير على تغير أفكار اليابانيين الذين كانوا يتبنون الفكر والثقافة الصينية، إذ أدركوا مدى الخطر الذي يتمثل في الانغلاق على الفكر الصيني فقط وذلك ما يوضحه كلام المفكر الياباني شوزان ساكوما⁽⁴⁾ إلى أحد زملائه بأنه لم تعد المعرفة التقليدية أو الصينية كافية في عالم اليوم، ذلك أن ظروف العالم تغيرت بعد اكتشاف كولمبس للعالم الجديد، واكتشاف كوبر نيك لمبادئ حركة الأرض، واكتشاف نيوتن للمبادئ الحقيقية للجاذبية، فإن العلوم أصبحت قائمة على أسس علمية متينة ودقيقة وهي ليست بحاجة إلى دليل من العقائد، ولذلك فإن أحوال أوروبا تغيرت إلى الأفضل وبشكل كبير، ويبدو أن أفكار ساكوما قد وضعت الأسس الفكرية التي قامت عليها حركة الميجي التي انطلقت بعد عام 1868، إذ كان يدعو للموائمة بين أخلاق الشرق وأفكار الغرب العلمية، وقد تجسد ذلك في مقولته

¹ -أعيف، المصدر السابق، ص246.

² -Heung, Li Yuk, Women's Education in Meiji Japan and the Development of Christian Girls' Schools.pp2-3

³ - هي حرب قامت بين الصين وبريطانيا بمرحلتين هي حرب الأفيون الأولى 1840 - 1842، وحرب الأفيون الثانية 1856 - 1860 م شاركت فيها فرنسا إلى جنب بريطانيا، استخدمت فيها بريطانيا ابشع واقد الأساليب وحشية، عملت فيها الصين على نشر تعاطي المخدرات (الأفيون) بين الصينيين وظلت الصين تعاني من هذه المشكلة حتى قضى عليها ماو تسي تونغ، كان من نتائج الحرب استيلاء بريطانيا على هونغ كونغ. انظر: هوخام، هيلدا، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة، أشرف محمد كيلاني، ط1 (القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2002)، ص284، ص294

⁴ - شوزان ساكوما (1811-1864) أحد أشهر مفكري الساموراي في عهد ايدو، ولد في قلعة نوغايا عام 1811 ودرس الكونفوشوسية على يد والده ثم التحق بمعهد شوهيكو، اثرت حرب الأفيون في تغير أفكاره بشكل كبير. ينظر اعيف، المصدر السابق، صص 522-523.

التي ينقلها مُجدِّ اعفيف بقوله " ان ما يخص الاخلاق ومحبة الخير والاستقامة والمحبة الأخوية والإخلاص في أداء الواجب، فيجب ان نتبع فيها مبادئ حكام الصين، وأما ما يخص الفلك والجغرافية والبحث في مبادئ الأشياء ، وفن المدافع والتجارة والطب والآلات والبناء فانه يتوجب علينا الاعتماد أساسا على الغرب، يجب ان نجمع بين نقاط القوة في الأراضي الخمس [القارات]، فنبنى معرفة عظيمة لأمتنا الإمبراطورية"⁽¹⁾.

أوضاع التعليم في اليابان أبان ثورة الميجي

ألتمزم فوكوزاوا جانب الحياد بين الأطراف المتنازعة عند ما حدثت ثورة الميجي 1868م في نهاية حقبة توكوكاوا، فلم يكن له أي طموح سياسي، وفي ذات العام 1868م نقل مدرسته الى مبنى جديد اطلق عليه اسم مدرسة كيو جيجوكو (Keio Gijuku) كان اكثر سعة من المكان السابق اذا يتسع لمائة طالب، وهو مزود بمكتبة ضمت الكتب الانكليزية التي جلبها من أمريكا واوروبا إبان زيارته لهما ، واصبح يستوفي اجورا من الطلبة المنتمين لمدرسته لقاء تعليمهم، وقد وثق لنا أوضاع التعليم في بداية حدوث ثورة ميجي، اذ يذكر ان جميع المدارس التي كانت تحظى بدعم وتأييد حكومة الشوجن قد انقطع معلموها عنها وأغلقت أبوابها بسبب انقطاع التمويل عنها، وبسبب الاعمال المسلحة، وكان النظام الجديد مشغول بتثبيت سلطه ولم يهتم بالتعليم بعد ، اذ تركت الحكومة الجديدة التعليم مدة خمسة سنوات ولم تلتفت اليه، وظلت مدرسة كيو هي المدرسة الوحيدة في البلاد التي تعمل وبانتظام مع ان بعض المعارك كانت قريبة منها اذ يرى طلاب المدرسة من اسطح قاعاتهم الدخان المتصاعد اثر العمليات العسكرية، بل ان عدد الطلبة قد ازداد فيها، كان كثير من طلاب مدرسة كيو من المحاربين، فبعد انتهاء المعارك التحقوا بالمدرسة⁽²⁾. وفي مدرسة كيو الجديدة تنبه فوكوزاوا الى ضرورة وجود توازن معرفي في تدريس العلوم الصرفة والعلوم الإنسانية، اذ يتم التركيز على تدريس الطلاب العلوم الطبيعية بصورة مركزه وفي الصفوف الأعلى يدرسون الفلسفة والقانون والاقتصاد⁽³⁾.

¹ - أصول التحديث ، صص 523-524.

² - فوكوزاوا ، سيرة، ص250.

³ - Fukuzawa Yukichi on Education, Selected Works ,trans ,Eiichi Kiyooka , Univ of Tokyo Press 1986 ,p.126

اتجه فوكوزاوا الى تنظيم قواعد السلوك والنظام في مدرسته، اذ منع اقتراض النقود بين الطلاب في المدرسة، وأمر ان يكون موعد النوم والاستيقاظ ثابتين ، وان يكون تناول الطعام في غرفة الطعام فقط، ومنع الكتابة على الجدران والابواب وعلى مظلات الفوانيس، وأمر طلبة مدرسته بعدم الانحاء للأساتذة او للطلبة الاقدم منهم في المدرسة ، وأكد ان الإيماءة فقط تفي بالغرض وكان قد كتب بذلك اعلان وعلقه على جدار مدرسته ليقرأه الطلاب، الامر الذي يدل على ان مدرسته تسير وفق قواعد سلوك منظمه فهم لا يترددون في معاقبة الطلاب على أي مخالفة في سلوكهم وعن إقراره لقواعد الإدارة والسلوك في مدرسته يقول " لم أتردد في فرض أدق تفاصيل قواعد السلوك"⁽¹⁾، ومع هذا النظام الشديد نوعا ما ، كانت مدرسته جاذبة للطلاب اذ واصلت مسيرتها وازداد عدد طلابها ليصبح بين 200 الى 300 طالب وكانت لغة تدريس المواد فيها هي اللغة الإنكليزية⁽²⁾.

فلسفة فوكوزاوا التربوية

أوضح لنا فوكوزاوا من خلال سيرته التي دوّنها بيده ان الانسان ينبغي عليه ان يؤمن بالاستقلال و باحترام الذات ، وهو يرى ان الحضارة الغربية لها مواطن قوة أكثر من الحضارة الشرقية، " عندما أقارن الحضارتين الغربية والشرقية، فيما يتعلق بالثراء والقوة وتوفير اعظم سعادة لأكبر قدر من الناس فأني يتعين عليّ أن اضع الشرق في مرتبة ادنى من الغرب"⁽³⁾.

ففي تعليم الشرق غالبا ما يكون مشبعا بتعاليم كونفوشيوس الذي يعاني من افتقار الى الاهتمام في دراسات العدد والمنطق في الثقافة المادية والى الافتقار في الاستقلال الروحي في الثقافة الروحية، وذلك عكس ما موجود في الغرب، وعن موقفه من الثقافة الصينية فهو لا يكن تقديرا واحتراما كبيرا للتعاليم الصينية فحسب وانما كان يبذل قصارى جهده لإبعاد تأثيرها على اليابان، ويفصح عن السبب الحقيقي لمعارضة للتعليم الصيني

¹ - فوكوزاوا ، سيرة ، ص 252.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه ، ص 254

بمثل هذه القوة هو اعتقاده انه " اذا بقي مذهب عدم الاهتمام بعلوم الغرب وكرههم متغلغلا في اذهان الشباب اليابانيين فأن الحضارة الجديدة لا يمكن ان تعطي فائدتها الكاملة لليابان"⁽¹⁾ فهو يرى ان التعليم وفق الثقافة الصينية يعلم الناس الخضوع والتبعية ويعمل على استمرار وديمومة النظام الاقطاعي ولا يمكن للبلد ان تنهض او تتقدم اذا اعتنق مثقفوه هذه الافكار.

لقد سار على مبدأ مقاطعة النظم التعليمية التي كانت سائدة في عهد توكوكاوا وبالتالي فهو تخطى فكرة الجمع بين اخلاق الشرق وعلوم الغرب، تلك الفلسفة التي دعا اليها المفكر ساكوما بل انه دعا الى التخلي عن الثقافة الصينية بشقيها الأخلاقي والمعرفي وقد سار مع مجموعة من مثقفي عهد الميجي باتجاه نبذ الفكر الكونفوشيوسي بشكل تام⁽²⁾

ويذكر لنا ان هدفه كتربوي كان من اجل " ان افتح هذه البلاد المقفلة بلادنا، واصل بها كلية الى نور الحضارة الغربية ، ذلك انه على هذا النحو فحسب يمكن لليابان ان تصبح قوية في فنون كل من الحرب والسلام وان تحتل مكانا في صدارة تقدم دول العالم"⁽³⁾.

ويتضح لنا ان فلسفته تعدّ التعليم وسيلة وليس غاية ، انه وسيلة توصل الى ما هو أسمى وهو التحرر والتقدم والتطور ، وان والتعليم هو الأداة التي توصل الى تلك الغاية. لم يكن فوكوزاوا متخصصا في مجال معرفي محدد بل كان من رواد انشاء المدارس والجامعات في عهد الميجي على النمط الغربي ، ويخبرنا بكل تواضع ، ان نجاحه لم يكن راجعا الى قدرته وانما كان سببه العصر الذي جاء ليكون في خدمته⁽⁴⁾

ومن أشهر مؤلفاته كتابه (تشجيع التعليم) والذي يضم مجموعة من المقالات التي نشرت تباعا بين 1872 و1876م وكتبها بأسلوب بسيط انتقد من خلالها كثير من الأفكار الشائعة لتكون في متناول الجميع وقد بلغت مبيعاتها بحدود ثلاثة ملايين واربعمئة الف نسخة مع ما واجهه من اعتراض ونقد، ثم صدر له في عام 1875 كتابه حول نظرية الحضارة، ونشر عدد من المقالات عن وضع المرأة امنها مقال بعنوان (في المرأة

¹ المرجع نفسه ، ص256

² - اعفيف، المرجع السابق، ص526.

³ - فوكوزاوا، سيرة ، ص256.

⁴ - المرجع نفسه

اليابانية) عام 1885 و(عرض للتعليم الضروري للمرأة) في العام 1899، الامر الذي يدل على نظرة احترامه للمرأة واعترافه بدورها في المجتمع الياباني وضرورة تعليمها⁽¹⁾.

أسس صحيفة يومية في عام 1882 حملت اسم (جي جي شيمبو Jiji shmipo) نشر من خلالها عدة مقالات له، وكان يشجع الصحفيين على الكتابة بشجاعة وحرية ولا يتدخل فيما يكتبون ان كان يقدمهم لاذعاً، وقد اثنى في مذكراته على زملائه في العمل بالصحيفة ومقدرتهم ودورهم الكبير في نجاح الصحيفة⁽²⁾، وقد منح فوكوزاوا الشباب العاملين في صحيفته دوراً كبيراً تشجيعاً لهم اهتم فوكوزاوا اهتماماً خاصاً بفن الخطابة، بل انه اول من ابتدع فن الخطابة وبرهن للكثيرين من خلال بلاغته ان الخطابة باليابانية ليست ممكنة فحسب بل وسيلة فعالة لنشر فكرة الاستقلال والتحرر واسس في عام 1874 جمعية ميتا للخطابة، ثم شيد قاعة للخطابة في مدرسته الخاصة

معالجة فوكوزاوا لجوانب من الموروث الاجتماعي

كان فوكوزاوا ناقدا اجتماعيا واعيا لما يدور في مجتمعه، وكان من الدعاة الأوائل الذين نادوا بتحرر المرأة اليابانية ومساواتها للرجل، ودافع بقوة عن استقلاليتها وحمايتها، فتقدم الأمم يرتبط بالحالة الذهنية للمرأة، لذلك فقد أهتم بالدفاع عن قيمه ومكانة المرأة في المجتمع، وذلك بسبب الاجحاف بحقوق المرأة لكون المجتمع وراث تركة ثقيلة من المجتمع الاقطاعي من عهد توكوكاوا، والذي يؤمن بسيادة الرجل في المجتمع وان الرجال يرتبطون بالسما في حين ترتبط النساء بالأرض، وان على المرأة طاعة زوجها وخدمته ومعاملته بلطف ولين، وان المرأة التي تقوم بذلك هي المرأة الفاضلة، حتى "أنهم لا يرون في الزوجة التي تلد أطفالاً اختلافاً عن الطباخ الذي يطهو الرز، فالطاهي الذي لا يجيد طهو الرز لا بد من طرده وان المرأة التي لا تنجب الأطفال

¹ - رؤوف، المرجع السابق، ص33

² - فوكوزاوا، سيرة، صص363-364

لابد من ان تطلق .. ومن هنا يأتي القول الشائع ان الرحم وعاء مستعار ومعنى ذلك ان الطفل الذي تلده الزوجة ابن ابيه وليس أبنا لأمه"⁽¹⁾. انه يؤمن بأن حرية المرأة هو أساس تقدم المجتمع الإنساني .

وهو يرى ضرورة المساواة بين الرجل والمرأة، وان على الزوج ان ينظر الى زوجته بانها مساوية له فيناقش معها كل شيء ويستشيرها في اموره ويقاسمها الحب والاحترام⁽²⁾، وقد ركز على أهمية تعليم المرأة فمن مصلحة الزوج ان تكون زوجته متعلمه وتمتلك مختلف المهارات لان ذلك سيخلق اسرة قوية، فلا بد ان تحظى الطفلة عن ولادتها بالحب الذي يناله الطفل الذكر ولا بد من ان تحصل على تعليم حالها في ذلك حال اقرانها الذكور، وكان قد ركز على التعليم داخل المنازل في تلك الفترة ذلك ان مدرسة ابتدائية خاصة للبنات كانت قد افتتحت عام 1874 لكن اعداد الطالبات تناقصت فيها بسبب تحسن الأوضاع في المدارس العامة ولكون اغلب الإباء يتجهون لانفاق الأموال على تعليم الأولاد دون البنات ، الامر الذي اضطر فوكوزاوا الى استقدام معلمين ليتولوا تعليم بناته في منزله، وان على المجتمع ان يعترف بأحقية المرأة بالملكية والإرث حالها حال الرجل، ووجه نقدا لادعاء لعادة تعدد الأزواج في المجتمع الياباني، وفي رأيه ان السماح بتعدد الأزواج لا يضع حدا فاصلا بين البشر والحيوانات⁽³⁾.

مؤلفات فوكوزاوا

- 1- كاي تسوجو (مفردات الإنجليزية وعباراتها الاصطلاحية عام 1860)
- 2- سايو جيغو (أشياء غريبه 1866-1869م)
- 3- رايجو شوهو (كتاب التدريب على البندقية 1866م)
- 4- سايو تاي أناي (دليل السفر في العالم الغربي 1867م)
- 5- كايوري زوكاي (كتاب العلوم الطبيعية المصور 1868)

¹ - Fukuzawa Yukichi on Japanese Women: Selected Works,trans,Eiichi Kiyooka , Univ of Tokyo Press 1988,p48.

² -Ibid.,p64.

³ - Fukuzawa Yukichi on Japanese Women: pp39,54,32,126

- 6- يوهي ميكان (تصور عام لفن الحرب الغربي 1869)
 - 7- إيكو كو جيچين دان (البرلمان الانكليزي 1869)
 - 8- سيكاي كونيزو كوشي (كل بلاد العالم 1869)
 - 9- جاكو مون نوس وسومي (تشجيع التعلم 1872-1876)
 - 10- دومو أوشيجوسا (كتاب الاخلاق للصغار 1872)
 - 11- كاتوا موسومي (فتاة مشوهة 1872)
 - 12- كاير يكيين (تفسير التقويم الجديد 1873)
 - 13- تشواي نوهر (مسك الدفاتر 1873)
 - 14- كايييين (كيف تعقد مؤتمرا 1873)
 - 15- بوميرون - نو جايرايكو (مخطط عام للحضارة 1875)
 - 16- مينكان كيز ايرو كو (الاقتصاد الشعبي 1877)
 - 17- بونكيزون (في تفويض السلطه 1876)
- أورد فوكوزا تعريفا بمؤلفاته هذه في ذيل كتاب سيرته الشخصية (1).

¹ - للمزيد انظر: فوكوزاوا ، سيرة، صص 473-528

الختامة

يعد من كبار المفكرين اليابانيين الذي لمع نجمهم في عهد مييجي وكان له الدور الأبرز في اصلاح نظام التربية في اليابان، ومن خلال ما تناولته آنفا يتضح ان التطور في نظام التعليم الياباني كان قد بدأ من عهد توكوكاوا لكنه سار ببطيء ، ووجدنا ان النظام التعليمي كان واقعا تحت هيمنة الفكر الصيني القديم والثقافة الكونفوشوسية، ذلك ان الشوكن وحكام الاقطاع كانوا يعادون الأفكار الغربية في التعليم لان البلد يعيش في مرحلة العزلة الطوعية، الا ان نافذة صغيرة فتحت على اللغة الهولندية والكتب الأجنبية باللغة الهولندية فقط، اتسعت بشكل بارز بعد تهديد ماثيو بيرى للسواحل اليابانية وعجز حكومة الشوجن في التصدي له.

كان دور فوكوزاوا متميزا في عملية التحديث حتى نكاد نجد ذكره في كل مرة تذكر فيها عملية التحديث والإصلاح في اليابان ، وبالرغم من كونه مخضرمًا بين عهدين في اليابان إلا انه يعد من رجال عهد المييجي، وقد كان لمشاركته بالبعثات التي زار فيها أوروبا أثر كبير في تعزيز الأفكار التي كان يؤمن بها، وقد جمع مشاهداته في الغرب في كتاب حرره تحت عنوان (أشياء غريبة) تحدث فيه عن كل مظاهر الحياة الحديثة في الغرب لاقى اقبال كبيرا ، فنجده يتجاوز نقل ما موجود في الكتب الى متابعة المجتمع وطريقة حركته وطبيعة المؤسسات وعملها، وعلى الرغم من عدم تسلمه لوظيفة سياسية او منصب حكومي في عهد المييجي إلا انه تمكن من ان يبت أفكاره الإصلاحية بين أبناء المجتمع ومع الوقت تم تبنيها بالكامل.

ولم تقتصر أفكار الإصلاحية على مجال التعليم وادارته فقط ، بل عرج لمعالجة أحوال المرأة اليابانية التي كانت تعاني من الظلم والتمييز والدونية مقارنة بالرجل، إذ انبرى يدافع عن حقوق المرأة في التعليم وفي العمل واكتساب مهارات متعدد توفر لها استقلالاً مادياً، كما عاجلت مقالاته وطروحاته مسألة حقوق المرأة في الملكية والارث والمساواة مع الرجل، وحارب تعدد الزوجات وكان يرى ان الاهتمام بالمرأة ورفع شأنها بالمجتمع من شأنه كونه من مستلزمات اصلاح المجتمع، لقد كان فوكوزاوا يعزي كل سوء في المجتمع الياباني من تخلف في الفكر والثقافة والتقدم العلمي الى الثقافة الصينية والتعاليم الكونفوشوسية، لذلك نجده يلتزم موقفا حديا منها ويعلن الحرب عليها بشكل تام على خلاف بعض المفكرين اليابانيين الذي يحملون فلسفة الموائمة بين العلوم والفكر الغربي وبين الثقافة الصينية.



فوكوزاوا يوكيتشي مع فتاة أمريكية

المصدر: سيرة فوكوزاوا يوكيتشي الذاتية ومقدمة اعماله الكاملة ، ص 6

المصادر

- اعفيف، مُجد ، أصول التحديث في اليابان 1568-1868م، ط1(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية:2010).
- بيريز ، لويس، اليابان في القرن الثامن عشر، ترجمة ، عابد إسماعيل، ط1(أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة) مشروع كلمه،(2011).
- الحناوي، كمال الدين، الاستراتيجية في الحرب الاهلية الامريكية، ط1(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،1950).
- ريشاور، ادرين اولدفاذر، تاريخ اليابان من البداية الى هيروشيما، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1(دمشق، دار علاء الدين:2000)
- عباس ، رؤوف، التنوير بين مصر واليابان ، دراسة مقارنة في فكر رفاة رافع الطهطاوي وفوكوزاوا يوكيتشي(القاهرة، دار ميريت ، 2001).
- عبود، مثنى عبد الجبار، التعليم في اليابان(1868-1912)، أطروحة دكتوراه غير منشوره مقدمة الى كلية التربية/ابن رشد، جامعة بغداد،2016م.
- فوكوزاوا ، يوكيتشي ، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي وسيرة الذاتية ، ترجمة كامل يوسف حسين، ط1(ابو ظبي، المجمع الثقافي:2001م) .
- بو لحية، يحيى، البعثات التعليمية من اربعينيات القرن التاسع عشر حتى اربعينات القرن العشرين -تباين المقدمات واختلاف النتائج، ط1(بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات:2016).
- ميتشو ، ناغاي وميغال أورتشيا، نهضة اليابان: دراسات وابحث في التجربة الإنمائية اليابانية، ترجمة ، نديم عبدة وفواز خوري،(بيروت ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،1993م).
- ميزوتاني، أمين ماكوتو، الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007).

- هوخام ، هيلدا ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة ،أشرف مُجد كيلاي ، ط1) القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميري،(2002).
- Fukuzawa,Yukichi, The Autobiography of fukuzawa yukichi ,trans .Eiichi Kiyooka ,columbia University press1968.
- Fukuzawa Yukichi on Education, Selected Works ,trans ,Eiichi Kiyooka , Univ of Tokyo Press 1986
- Fukuzawa Yukichi on Japanese Women: Selected Works ,trans ,Eiichi Kiyooka , Univ of Tokyo Press 1988.
- Heung,Li Yuk, Women's Education in Meiji Japan and the Development of Christian Girls' Schools>
- Jansen , Marius B., The Making of Modern Japan, London, Harvard Univ.Press,2000.
- Kodansha, Encyclopedia of Japan ,Vols.1-8, Tokyo , 1983.
- Masao , Maruyama , Studies In The Intellectual History Of Tokugawa Japan, Trans by Mikso Hane, Princeton University Press , 2016.
- Sansom,George,A History of World and Japan , Routledge; 1 edition 2013 .